ترجيحات القرطبي في السيرة النبوية من خلال تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)

بشار صالح سعدون
رقم الموبايل/ ٠٧٥٠٤٥٨٥١٩٦
أ.د. خطاب إسماعيل أحمد*
metanduhok@gmail.com

الملخص

يهدف البحث التعرف على ترجيحات الإمام القرطبي في السيرة النبوية، وكذلك صيغ وأساليب ووجوه الترجيح التي استخدمها في أثناء ترجيحه بين الأقوال من خلال تفسيره "الجامع لأحكام القرآن"، إذ إن القرطبي لم يذكر الآراء الواردة في تفسير الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية فحسب، بل لجأ الى الترجيح فيما بينها معتمداً في ذلك على دليل يؤيد ما ذهب اليه، وقد اعتمد القرطبي في عمله هذا على أساليب ووسائل عديدة معروفة عند المفسرين منها: التنصيص على القول الراجح، أو التفسير بقول مع النص على ضعف غيره، أو تعقبه للقول المرجوح بعبارة تدل على ضعفه، أو ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وذكر بقية الاقوال بصيغة التمريض. وللقرطبي وجوه عديدة في الترجيح بين الآراء منها: الترجيح بالنظائر القرآنية، والترجيح بظاهر القرآن، والترجيح بالحديث النبوي الشريف، والترجيح بالسياق القرآني، والترجيح بأسباب النزول، والترجيح بالاعتماد على أقوال

* جامعة زاخو/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ جامعة زاخو/ كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ، (بحث مستل من أطروحة الدكتوراه: السيرة النبوية من خلال كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) – دراسة تاريخية تحليلية)

الصحابة رضي الله عنهم وغيرها.

Abstract

This research aims to identify the opinions of Imam Al-Qurtubi in the biography of the Prophet, as well as the formulas, methods, and aspects of weighting that he used during his weighting between the sayings through his interpretation, "which brings together the provisions of the Qur'an and clarifies what it contains of the Sunnah and any criterion," since Al-Qurtubi did not mention the opinions contained in the interpretation. Not only the verses related to the Prophet's biography, but he resorted to weighing between them, relying in doing so on evidence that supports what he argued. In this work, Al-Qurtubi relied on many methods and means known to commentators, including: Stating the most likely statement, or explaining it with a statement while stating the weakness of another, or following the more likely statement with a phrase indicating its weakness, or stating the more correct statement in the form of assertion and mentioning the rest of the sayings in the nursing form. Al-Qurtubi has many ways of judging between opinions, including: preferring based on Qur'anic counterparts, preferring based on the apparent meaning of the Qur'an, preferring based on the noble Prophet's hadith, preferring based on the Qur'anic context, preferring based on the reasons for the revelation, and preferring based on the sayings of the Companions and others.

ترجيحات القرطبي في السيرة النبوية من خلال تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)

بشار صالح سعدون
أ.د. خطاب إسماعيل احمد

المقدمة

يعد القرآن الكريم المصدر الأول والأساس من مصادر السيرة النبوية، بل إن أصدق مصدر للسيرة وأوثقه وأصحه، هي تلك الآيات القرآنية المرتبطة بأحداث السيرة النبوية، ولفهم تلك الآيات بشكل صحيح وتفصيل ما أجمل من حقائق، لابد من الاعتماد على أقوال المفسرين، وجاءت هذه الدراسة لتحقيق هذا الغرض، وقد وقع الاختيار على علم بارز من علماء التفسير وهو الإمام القرطبي[١]، لا سيما إذا عرفنا مكانة المؤلف العلمية وشهرته الواسعة فقيل عنه: "إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، فضلاً عن شهرة كتابه في التفسير "الجامع لأحكام القرآن" التي قيل عنها: "وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه"[٢].

ومما يعطي الأهمية لهذا التفسير، هو قيام مؤلفه بالترجيح بين الآراء الواردة في المسألة الواحدة، وما يهم الباحث هو ترجيحات القرطبي في المواضيع التي تخص السيرة النبوية. وفي المقدمة لابد لنا من بيان معنى الترجيح وأهميته.

الكلمات الافتتاحية: (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الترجيح، السيرة).

(١) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، وقد أجمعت كتب التراجم والسير على هذا الاسم والكُنية والنسب، له العديد من المؤلفات منها: التذكرة في أمور الموتى والآخرة، والتذكار في أفضل الأذكار، وكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ السؤال بالكتب والشفاعة وغيرها، إضافة الى كتابه في التفسير المسمى "الجامع لأحكام القرآن" التي نالت شهرة كبيرة ينظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٩م)، ج٥٠، ص٧٤؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، دار الأجيال، (بيروت: ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٨٧؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، طبقات المفسرين، (الرياض: ٢٠١٠م)، ص٩٢.

(٢) الصفدي، الوافي، ج٢، ص٨٧.

أولاً- الترجيح تعريفه وأهميته:

١- الترجيح لغةً واصطلاحا:

الترجيح لغة: يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجّح الشيء وهو راجح إذا رزن. وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال، تقول: رجحت الميزان، أي ثقلت كفته بالموزون[١].

أما الترجيح اصطلاحاً: عرفه الأصوليون بتعريفات كثيرة من أجودها أنه "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى بما ليس ظاهراً"[٢]، أو تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر، وعبر بعضهم عنه: بزيادة وضوح في أحد الدليلين، والبعض الآخر: بالتقوية لأحد المتعارضين، أو تغليب أحد المتقابلين[٣].

الترجيح عند المفسرين هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية، لدليل يدل على قوته، أو قاعدة تقوية، أو على ضعف ما سواه من الأقوال[٤].

٢- أهمية الترجيح:

إن ذكر الأقوال الواردة في تفسير الآية، دون التنبيه على الراجح بينها بالدليل يضيع الحق على طالبه[٥]، ذلك أن كتب التفسير مشحونة بالقوي والضعيف من الأقوال، فكان بيان القوي منها وتمييزه عن غيره، ضرورة يحتاج إليها كل طالب حق، وكل من قصد كتب التفسير يروم معاني كلام الله عزّ وجلّ.

٣- متى يكون الترجيح:

الترجيح إنما يكون في الآية التي وقع فيها خلاف في تفسيرها، أما الآية المتفق في تفسيرها

---

(١) ينظر: ذكريا، ابي الحسين أحمد بن فارس، مقايس اللغة، دار الجيل، ط٢، (بيروت: ١٩٩٩م)، ص٤٨٩؛ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، (بيروت: د. ت)، ج٢، ص٤٤٥.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ج٨، (عمان: ١٩٩٤م)، ص٤١٥.

(٣) ينظر: المناوي، عبد الرءوف، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٩٠م)، ص٩٥.

(٤) ينظر: الحربي، حسين بن علي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، (الرياض: ١٩٩٦م)، ج١، ص٣٥.

(٥) ينظر: ابن الوزير، ابي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العمية، ط٢، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص١٤٩.

فلا يكون فيها ترجيح؛ فيكون الترجيح في التفسير في أحوال، كأن تكون الأقوال المختلفة في تفسير الآية محتملة، ولكن بعضها أولى من بعض لدليل يدل على ذلك، أو يكون الخلاف من قبل خلاف التضاد، يتعذر معه حمل الآية على الأقوال مجتمعة؛ أو يقوم دليل على ردّ بعض الأقوال وتوهيمها[١].

ثانياً- صيغ الترجيح وأساليبه عند القرطبي:

عند إمعان النظر في تفسير القرطبي، يتبين أنّ له منهجاً واضحاً في الترجيح بين أقوال المفسرين، وأنَّ له سبلاً يفهم القارئ منها ما الذي اختاره القرطبي من الأقوال ورجّحه على غيره، كما يقف على صيغ متنوعة استعملها عند الترجيح منثورة في طيات كتابه الجامع لأحكام القرآن[٢].

ومما يلاحظ أيضاً أن استعمال القرطبي لهذه الطرق، ليس على درجة واحدة من القلة والكثرة، فقد أكثر من استعمال بعض الصيغ والطرق عند الترجيح، بينما لم يستعمل بعض الصيغ إلا قليلاً، وعليه فإن أكثر ما استعمله منها ما توفرت أمثلته وتعددت مواضعه، وأن ما اقلَّ ما استعمله لها هو ما قَلتْ شواهده وندر وجوده[٣].

أ- التنصيص على القول الراجح:

تعد هذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند المفسرين، بل هي الأساس في ذلك، فهي أوضح صيغ الترجيح في الدلالة على القول الراجح عند المفسر، ومبنى هذه الصيغة النص على الصواب، وما في معناه كالصحة، ومن صور التنصيص عند القرطبي[٤].

١-التصريح بتصحيح أحد الأقوال وتصويبه:

(١) الحربي، قواعد الترجيح، ج١، ص٤٢.

(٢) الغامدي، مي بن محمد بن حامد آل عثمان، ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الحجر الى اخر اية (٨٠) من سورة النحل جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، (السعودية: ٢٠١٢م)، ص١٠١.

(٣) الغامدي، ترجيحات الإمام القرطبي، ص١٠١.

(٤) السلومي، أسماء بنت محمد عبد الله، ترجيحات القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام الى آخرها جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، (السعودية: ٢٠٠٨م)، ص٩٠.

-استعمال صيغة (والصحيح):

والأمثلة على هذه الصيغة كثيرة منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[١]، قال قوم: لا يجوز أن يسمى النبيّ أباً، ولكن يقال مثل الأب للمؤمنين، والصحيح أنه يجوز أن يقال: إنه أب للمؤمنين في الحرمة، وليس في النسب[٢].

ومنها ما ورد من خلاف حول سورة "النجم"، هل هي سورة مكية أم مدنية، قال القرطبي: والصحيح أنها مكية، لما روى ابن مسعود أنه قال: ((هي أول سورة جهر بها رسول الله ﷺ بمكة))[٣].

-استعمال صيغة (والصواب):

استعمل القرطبي هذا الأسلوب في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٤] قال الزجاج [٥] أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب عمّ الرسول ﷺ، قال القرطبي: "قلت: والصواب القول: بأنّ جُل المفسرين أجمعوا على أنها نزلت في شأن أبي طالب"[٦].

-استعمال صيغة (وهو الصحيح):

ومن أمثلتها ما جاء في حادثة الإفك[٧]، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، عالم الكتب، (بيروت، ٢٠٠٣)، ج١٤، ص١٢٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص١٨٢.

(٤) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٥) الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، له العديد من المؤلفات من أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٤م)، ج٦، ص٨٧.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٩٩.

(٧) الإفك في اللغة هو الكذب وفي حديث عائشة رضي الله عنها: حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، وأراد به ههنا ما كذب عليها مما رميت به والمقولة التي قيلت فيها هو (امرأة نبيكم باتت مع رجل). ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص١٢٣؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١٩٩.

عَظِيمٌ﴾[1]، ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ الذي يتحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه[2]. روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنَّ المقصود هو عبد الله بن ابي بن سلول[3] وهو الصحيح[4].

وفي الاختلاف الحاصل حول عدد قتلى المشركين وأسراهم في غزوة بدر (٢هـ/٦٢٤هـ)، قال أبو عمرو بن العلاء[5]: إن القتلى كانوا سبعين، والأسرى كذلك. وكذلك قال ابن عباس وابن المسيب وغيرهم. قال القرطبي: وهو الصحيح كما في صحيح مسلم، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[6]. وهو ما ذهب اليه أصحاب المغازي والسير فقال ابن هشام ((حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو ان قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا والأسرى كذلك))[7]

-استعمال صيغة (وهو المراد في الآية):

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ فَإِنْ يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[8]، أنَّ هذه الآية نزلت في الجلاس ابن سويد بن الصامت[1]، ووديعة بن ثابت[2]، إذ أنهم

(١) سورة النور، الآية ١١.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠٠م)، ج١٩، ص١١٥.

(٣) هو عبد الله بن أُبي بن مالك بن الحارث الخزرجي المعروف بابن سلول، وسلول هي جدته من أمه وكان يعرف يعرف برأس المنافقين، وكان رئيساً مطاعاً في قومه، عزم أهل المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ اليها أن يملكه عليهم فانحل أمره فلا حصل دنيا ولا آخره وكانت وفاته في سنة تسع هجرية. الذهبي، شمس الدين محمد أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠١م)، ج١، ص٢٥٠-٢٧٠.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٠٠.

(٥) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني، برز في الحروف، وفي النحو، وتصدر للإفادة للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة، والصدق، وسعة العلم، وله معرفة بالقراءات. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٤٠٧.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٤٩.

(٧) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، دار الجيل، (بيروت: ١٩٩٠م)، ج٣، ص٢٧٠.

(٨) سورة التوبة، الآية ٤٧.

وقعوا في النبي ﷺ وقالوا: ((والله لئن كان محمد صادقاً على إخواننا، الذين هم ساداتنا وخيارنا لنحن شر من الحمير))، اختلف العلماء في قبول توبة الكافر، الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان، "إذا عثر عليه وقال: تُبتَّ، لم يتغير حاله عما كان عليه، وإذا جاءنا تائباً من قبل نفسه، قبل أن يعثر عليه قبلت توبته"[٣]، قال الإمام القرطبي: وهو المراد بالآية[٤] .

٢- التصريح بتفضيل أحد الأقوال على غيره:

-استعمال صيغة (أصح الأقوال):

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥]، قال ابن عباس ومجاهد: على خلق، على دين عظيم من الأديان، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن خلقه كان القرآن[٦].

وقيل: سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى، وقيل: سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه. قلت: ما ذكرته عن عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أصح الأقوال[٧].

وفي سبب نزول الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾[٨]، ثلاثة أقوال، قيل: إنها نزلت في

---

(١) الجلاس بن السويد كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته، وكان زوج أم عمير بن سعد، وكان عمير في حجره، فسمعه يقول: لئن كان محمد صادقًا لنحن شر من الحمير، فبلغ عمير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل في الجلاس قرآن، ثم تاب وأحسن لعمير. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٥م)، ج١، ص٥٩٥.

(٢) وديعة بن ثابت هو من بني أمية بن زيد بن مالك: وهو ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٢٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٢٠٨.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٢٠٨.

(٥) سورة القلم، الآية ٤.

(٦) مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "المعروف بصحيح البخاري"، دار التأصيل، ج٢، (القاهرة: د.ت)، ص٤٨٢.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٧٧.

(٨) سورة المائدة، الآية ٤١.

بني قريظة والنضير[١]، عندما قتل قرظي رجلاً من بني النضير، فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم بالتسوية بينهم، فساءهم ذلك ولم يقبلوا، وقيل: إنها نزلت في شأن أبي لبابة، حين أرسله النبي ﷺ إلى بني قريظة، فخانه حين أشار إليهم أنه الذبح في حال الاستسلام. وقيل: إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم، قال القرطبي في الرأي الأخير: وهذا أصح الأقوال[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [٣]، اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين، الأول: أنه خيرهن في البقاء على الزوجية أو الطلاق، فاخترن البقاء، ومنهم من قال: إنما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن، ولم يخيرهن في الطلاق، هنا أبدى القرطبي رأيه بالقول: قلت: القول الأول أصح[٤].

-استعمال صيغة (والأظهر):

قال تعالى واصفاً حال المسلمين في معركة الخندق: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾[٥]، فبعدما أورد القرطبي الآراء المختلفة حول معنى قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾، قال: والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وضرباته، أي كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة[٦].

-استعمال صيغة (الأشهر):

ومن الأمثلة في ذلك ماجاء في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي، حيث هناك اختلاف في تاريخ مقتله، فذكر ابن إسحاق أن مقتله كان في آخر يوم من رجب، وذكر الطبري عن السدي وغيره أن ذلك كان في آخر يوم من جمادي الآخرة، ذهب القرطبي

(١) بنو قريظة وبنو النضير من القبائل اليهودية التي كانت وجود في المدينة المنورة في زمن الرسول ﷺ
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص١٧٦.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٦٩.
(٥) سورة الأحزاب، الآية ١٠.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٤٤.

إلى القول: والأول أشهر[١].

-استعمال صيغة (أجود):

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِئٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾[٢]، أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا: يا محمد! إيتنا بكتب من رب العالمين مكتوب فيها: إني قد أرسلت إليكم محمداً ﷺ. ذكر الإمام القرطبي بعد هذا القول مجموعة من الآراء المختلفة في تفسير الآية، ثم قال: والأول أجود[٣].

- استعمال صيغة (الأشبه):

من الأمثلة عل ذلك قوله تعالى: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾[٤]، قيل: إن معنى نشهد أي نحلف، فعبّر عن الحلف بالشهادة، لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مُغيّب هذا أمر، ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره، أنهم يشهدون أن محمداً رسول الله ﷺ اعترافاً بالإيمان، ونفياً للنفاق عن أنفسهم، قال القرطبي: وهو الأشبه[٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٦]، ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٦]، هناك اختلاف في "ذي القربى"، فذهب جماعة أنهم قريش بأكمله، وحدد بعضهم بأنهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو مناف، في حين ذكر آخرون بأنهم بنو هاشم وبنو المطلب، قال القرطبي: عن الرأي الأخير: وهو أشبه القولين بالصواب عندي[٧].

٣-تصدير القول الراجح بلفظ (قلت):

لقد استعمل القرطبي هذا الأسلوب كثيراً، في تفسيره والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾[٨]، فهناك خلاف بين المفسرين حول الأشخاص

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٤٣.

(٢) سورة المدثر، الآية ٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٩٠.

(٤) سورة المنافقون، الآية ١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص١٢٢.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١٢.

(٨) سورة النور، الآية ١١.

الذين تم جلدهم من قبل الرسول ﷺ، بعد نزول هذه الآية التي بيّنت كذبهم وضلالهم، قال القرطبي: ((قلت: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء، أن الذي حد حسان بن ثابت ومسطح[١] وحمنة[٢]، ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبي))[٣]، روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما نزل عذري قام النبي ﷺ فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم، وسماهم: حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش))[٤].

وعند الحديث عن أزواج النبي ﷺ فذكر منهن: ريحانة بنت زيد بن عمرو وهي من بني النضير، سباها الرسول ﷺ وأعتقها، وتزوجها في سنة ست من الهجرة، وماتت بعد رجوعه من حجة الوداع، قال أبو الفرج الجوزي: وقالت طائفة: إنه كان يطؤها بملك اليمين ولم يعتقها[٥]، فهي معدودة معدودة في السراري[٦] لا في الزوجات، قال القرطبي: قلت: "ولهذا والله أعلم، لم يذكرها أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، في عداد أزواج النبي ﷺ"[٧].

---

(١) هو مسطح بن أثاثة بن عبد المطلب، كان اسمه عوفاً وأما مسطح فهو لقبه وأمه بنت خالة أبي بكر الصديق، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته منه، فلما خاض في الأفك في أمر عائشة رضي الله عنها حلف ألا ينفق عليه فنزلت قوله تعالى ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى﴾ سورة النور: الآية ٢٢ عاد أبو بكر رضي الله عنه الى الإنفاق عليه، مات مسطح في سنة ٣٤هـ، ويقال بأنه مات في خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٥م)، ج٦، ص٧٤.

(٢) هي حمنة بنت جحش بن رباب الأسدية، اخت زينب بنت جحش زوج الرسول ﷺ، هاجرت وبايعت رسول الله ﷺ، شهدت غزوة أحد وكانت تسقي العطشى، وتداوي الجرحى. ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص٨٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٠١.

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود، ج٦، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠٩م)، ص٥٢٤.

(٥) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن أحمد، الوفا بأحوال المصطفى، مؤسسة السعيدية، (الرياض: ١٩٧٦م)، ج٢، ص٣٥٠.

(٦) السراري: هي الجارية المملوكة إذا تسراها صاحبها واتخذها سُرِية. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس العروس من جواهر القاموس، (الكويت: ١٩٧٣)، ج١٢، ص١٣.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٦٥.

ومنها قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[١]، روي عن أبو عروة الزبيري من ولد الزبير، أنه قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص من أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ قوله تعالى ﴿يُعۡجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[٢]، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد، أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، هنا قال القرطبي: قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله[٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٤]، قال الضحاك: أي إنهم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله سبحانه وتعالى؛ وقال مجاهد: أي يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل، وقيل: ((يعلمون العربية فيعجزون عن مثله، ولو كان غير عربي لما علموه))، قال القرطبي: قلت: هذا أصح، والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في إعجاز القرآن[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾[٦]، قال مقاتل: ولم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ، قال القرطبي: قلت: يدل على قوله ما جاء في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: "أُعطيت خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ..."، قال مجاهد: الأحمر والأسود هما الجن والإنس[٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[٨]، اختلف الناس في هذا الأمر فقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه، لأنه آية

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢٩٧.

(٤) سورة فصلت، الآية ٤١.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٣٣٨.

(٦) سورة الجن، الآية ٧٢.

(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢١٧.

(٨) سورة القمر، الآية ٥٤.

والناس في الآيات سواء، وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية. وقيل: وانشق القمر أي وضح الأمر وظهر، قال القرطبي: قلت: وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[٢]، "ببطن مكة" فيه قولان: أحدهما يريد به مكة؛ والثاني الحديبية[٣]، لأن بعضها مضاف إلى الحرم، قال القرطبي[٤]: قلت: الصحيح أن هذه الآية نزلت في الحديبية قبل فتح مكة، حسب ما ما قدمناه عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وروى الترمذي قال: حدثنا عبد بن حميد قال حدثني سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: أن ثمانين هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم[٥]، عند صلاة الصبح وهم يريدون أن يقتلوه، فأخذوا أخذا فأعتقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: "وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم".

وعند وفاة الرسول ﷺ اختلف أهل العلم هل صلى الناس عليه أم لا؟ قال بعضهم: لم يصل عليه أحدٌ، لأنه أشرف من أن يصلى عليه، وقال بعضهم: صلوا عليه أفذاذاً، وفي ترجيح أحد هذه الأقوال، قال القرطبي: قلت: قد خرج ابن ماجه بإسناد حسن بل صحيح من حديث ابن عباس وفيه: فلما فرغوا من جهازه يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ أرسالاً يصلون عليه، حتى إذا فرغوا أدخلوا النساء، حتى إذا فرغن أدخلوا الصبيان، ولم يؤم

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص٢٨٢.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٤.

(٣) الحديبية: وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها. بين الحديبية ومكة ٤٠ كيلومتراً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٣م)، ج٢، ص٢٢٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٩٩.

(٥) التنعيم: هو موضع بمكة في الحل، سمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له نعيم، وآخر عن شماله يقال له ناعم، ويقال للوادي نعمان. ويبعد عن مكة بفرسخين أو أربعة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٩.

الناس على رسول الله ﷺ أحد[١].

ثالثاً- التفسير بالقول مع النص على ضعف غيره، أو تعقبه للقول المرجوح بعبارة تدل على ضعفه:

المراد بهذه الطريقة حصر القول الراجح فيما عداه من الأقوال المردودة، إذ أن الترجيح كما يكون بالنص على صواب قول وصحته، يكون ايضاً برد بعض الأقوال الواردة في تفسير الآية، وإن لم ينص المفسر على ترجيحه.

وهذا النهج مقرر عند العلماء قال ابن عبد البر[٢] في هذا الصدد: "ولا خلاف بين أهل العلم والنظر، أن المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما، أن الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته، بقيام الدليل على ضده"[٣].

وقد نهج القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) هذا المنهج، حيث أن القرطبي عندما يذكر الخلاف في المسألة، يضعف أو يرد أحد القولين، مما يدل على ترجيحه أو اختياره للآخر، ومن الصيغ التي استعملها القرطبي.

١. استعمال صيغة (وهذا ضعيف):

بعد وفاة الرسول ﷺ قيل: لم يصل عليه، لأنه لم يكن هناك إمام، قال القرطبي: وهذا ضعيف، لأن الذي كان يقيم بهم الصلاة الفريضة، هو الذي كان يؤم بهم في الصلاة [٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ به﴾ [٥]، وقد اختلف العلماء في نسخ هذه الآية، فالجمهور على نسخها، وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح. كما أنهم اختلفوا في ناسخها، فقال الزهري: نسخها ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾، وقيل: نسخها غزو النبي ﷺ ثقيفاً في الشهر الحرام، وقيل: نسخها بيعة

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٢٥.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي الأندلسي، له العديد من المؤلفات منها الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الدرر في اختصار المغازي والسير، وكتاب جامع بيان العلم وفضله، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد وغيرها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٥٧.

(٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج٢، (المغرب: ١٣٨٧هـ)، ص١٩٩.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٢٥.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

الرضوان[١] على القتال في ذي القعدة، قال القرطبي مبيناً رأيه في القول الأخير: وهذا ضعيف، فإن النبي ﷺ لما بلغه قتل عثمان بن عفان بمكة وأنهم عازمون على حربه بايع حينئذ المسلمين على دفعهم لا على الابتداء بقتالهم[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [٣]، أي استوى جبريل عالياً على صورته، ولم يكن النبي ﷺ قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها، والأفق ناحية السماء، وقيل: (وهو) أي النبي ﷺ بالأفق الأعلى، يعني ليلة الإسراء وهذا ضعيف، لأنه يقال: استوى هو وفلان، ولا يقال استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر، والصحيح استوى جبريل عليه السلام بالأفق الأعلى على صورته الأصلية، لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي ﷺ أن يراه على صورته الحقيقية [٤].

٢. استعمال صيغة (وهذا فاسد):

قال الماوردي[٥] وغيره في حادثة الإفك: اختلفوا هل حدَّ النبي ﷺ أصحاب الإفك، على قولين: أحدهما أنه لم يحد أحداً من أصحاب الإفك، لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو ببينة، ولم يتعبده الله أن يقيمها بإخباره عنها، كما لم يتعبده بقتل المنافقين، وقد أخبره بكفرهم، قال القرطبي: قلت: وهذا فاسد مخالف لنص القرآن[٦]، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جلدة﴾ [٧].

---

(١) بيعة الرضوان: بلغ رسول الله ﷺ وهو في الحديبية بأن رسوله عثمان بن عفان الى مكة قد قتل، وكان ذلك في سنة ست هجرية فقال رسول الله ﷺ " والله لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الى البيعة، فكانت بيعة الرضوان". محمد بن إسحاق بن يسار، السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٤٦٠.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٤٣.

(٣) سورة النجم، الآية ٥٣.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٨٨.

(٥) الماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب توفي سنة ٤٥٠هـ، له مصنفات عدة منها: الأحكام السلطانية، والنكت، وأدب الدنيا والدين وغيرها. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٤.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٠١.

(٧) سورة النور، الآية ٢٤.

٣. استعمال صيغة (وهذا ليس بشيء):

لقد إستعمل القرطبي هذه الصيغة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [١]، هذه الآية ناسخة لأول السورة، عند الجمهور، وقيل: إنها محكمة غير منسوخة، وأن الغنيمة لرسول الله ﷺ، وليست مقسومة بين الغانمين، وكذلك لمن بعده من الأئمة، وهنا أبدى القرطبي رأيه بالقول: قلت: وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾، فالأربعة الأخماس للإمام، إن شاء حبسها وإن شاء قسمها بين الغانمين، وهذا ليس بشيء[٢].

٤. استعمال صيغة (وهو قول باطل):

لقد إستعمل القرطبي هذه الصيغة لرد الأقوال التي يراها غير صحيحة، لذا أطلق عليها تسمية (قول باطل)، من الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[٣]، أبي لهب قيل: سمي باللهب لحسنه، وإشراق وجهه، وقد ظن قوم أن في هذا دليلاً على تكنية المشرك، وهو باطل، وإنما كناه الله بأبي لهب لعدة أمور منها: أنه كان اسمه عبد العزى، والعزى: صنم، ولم يضف الله سبحانه في كتابه العبودية إلى صنم. وكان أبو لهب بكنيته أشهر منه باسمه، فصرح بها، والاسم أشرف من الكنية، فحطه الله عزّ وجلّ عن الأشرف إلى الأنقص[٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾[٥]، فالجمهور من المفسرين يرون أن سبب نزولها، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش أولمَ عليها، فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ فنزلت الآية[٦]، هذا وقد روي عن ابن مسعود: أن عمر بن الخطاب أمر نساء النبي ﷺ بالحجاب، فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب، إنك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، قال لقرطبي في رد هذا القول: وهذا باطل، لأن آية الحجاب نزل يوم البناء

(١) سورة الأنفال، الآية ٤١.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣.
(٣) سورة المسد، الآية ١.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٣٦.
(٥) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٢٣.

بزينب، كما بيناه[١].

٥. استعمال صيغتي (ولا يصح غيره، ولا يصح):

من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾[٢]، هذه الآية نزلت يوم بدر كما هو معلوم، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب النبي ﷺ. والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل، الذي أوجب أن يكون للنبي ﷺ أسرى قبل الإثخان، ولهم هذا الإخبار بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾. والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية، هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصح غيره[٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾[٤] روى إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة، أن رجلا قال: لو قبض رسول الله ﷺ تزوجت عائشة، وحكى مكي عن معمر أنه قال: هو طلحة بن عبيد الله، قال ذكر القرطبي رأيه بالقول: قلت: وكذا حكى النحاس عن معمر أنه طلحة، ولا يصح[٥].

٦. استعمال صيغة (وفيهِ بُعد، أو وهذا بعيد):

من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾[٦]، قال ابن عباس وغيره: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب: فلان يحطب على فلان، إذا ورش عليه والورش من التحريش، وقال ابن زيد والضحاك: كانت تحمل العضاة والشوك، فتطرحه بالليل على طريق النبي

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٢٣

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٢٧.

(٦) سورة المسد، الآية ٣.

ﷺ وأصحابه، وقيل: المعنى حمالة الحطب في النار، وفيه بُعد[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾[٢]، اختلف الناس في اسم هذا الرجل الذي قالوا إنما يعلمه بشر، فقيل: هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه (جبر)، كان نصرانيا فأسلم، وقال عكرمة: اسمه (يعيش) وهو عبد لبني الحضرمي، كان رسول الله ﷺ يلقنه القرآن، وقيل: نصرانياً بمكة اسمه (بلعام) عارفاً بالتوراة، فقال المشركون في مكة: إنما يعلمه بلعام، وقال ابن قتيبة: كان بمكة رجل نصراني يقال له (أبو ميسرة)، يتكلم باللغة الرومية، فربما جلس إليه رسول الله ﷺ، فقال الكفار: إنما يتعلم محمد منه، وفي رواية أنه (عداس) غلام عتبة بن ربيعة. وقيل: أنه (عابس) غلام حويطب بن عبد العزى، وقيل: يسار أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي، بعد إيراد القرطبي لكل هذه الآراء المختلفة حول اسم ذلك الشخص، الذي زعم المشركون أن النبي كان يتعلم منه[٣].

قال القرطبي: قلت: إن النبي ﷺ ربما جلس إليهم جميعاً، في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله، وكان ذلك بمكة، أما ما ذكره الضحاك من أنه سلمان الفارسي ففيهِ بُعد، لأن سلمان إنما أتى النبي ﷺ بالمدينة، وهذه الآية مكية[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾[٥]، ومعنى الآية: أن الرسول ﷺ لما رفق بمن تولى يوم أُحد، ولم يعنفهم بيّن الله عزّ وجلّ، أنه إنما فعل ذلك بتوفيق من الله تعالى إياه، وقيل في تفسيرها: "فبما" استفهام. والمعنى: فبأي رحمة من الله لنت لهم، فهو تعجيب، وقد رد القرطبي هذا المفهوم الأخير لهذه الآية بالقول: وفيه بُعد، لأنه لو كان كذلك لكان "فبم" بغير ألف[٦].

رابعاً: ذكر القول الراجح بصيغة الجزم، وذكر بقية الاقوال بصيغة التمريض:

انتهج هذا الأسلوب الكثير من العلماء، وهو من الطرق المعتمدة عند علماء الحديث، فإذا روي أحدهم بصيغة الجزم كقوله: قال فلان، ورَوى، وذَكرَ فلان فهي من الصيغ المقبولة، والعكس إذا

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص٢٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية ١٠٣.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٧٧.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٧٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٥٩.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٤٨.

روي بصيغ التمريضي، وبني للمجهول منها: قيل، وذُكِر، ورُوي ونحو ذلك[١].

ومن الأمثلة على ذلك تفسير قوله تعالى ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾[٢] والمراد به جميع أوقات تلك الغزوة وليس ساعة بعينها [٣]. وقيل ساعة العسرة أشدّ الساعات التي مرت به تلك الغزوة ويقصد به غزوة تبوك[٤].

ومنها قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾[٥] ومعنى قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن، والإنذار هو الإعلام، وقيل ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي بالله، وقيل باليوم الآخر[٦].

ومنها قوله تعالى قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾[٧] قال مجاهد وقتادة وغيرهما: الغم الأول القتل والجراح، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي ﷺ، إذ صاح به الشيطان. وقيل: الغم الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني ما أصابهم من القتل والهزيمة. وقيل: الغم الأول الهزيمة، والثاني إشراف أبي وسفيان وخالد بن الوليد عليهم في الجبل، فلما نظر إليهم المسلمون غمهم ذلك[٨].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، ط٢، ج١، (الرياض: ١٩٩٦م)، ص٥٣؛ السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ج٢، (لبنان: ١٩٨٣م)، ص١٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٢٧٨.

(٤) غزوة تبوك: هي آخر غزوة خرج فيه رسول الله ﷺ للقتال وكانت في سنة تسع هجرية يريد بها الروم، وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه بوجهته على خلاف ما كان يفعل في غزواته السابقة، لبعد المسافة، وكثرة العدو، وشدة الزمان، ليتهب الناس لذلك. ينظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٩٥.

(٥) سورة الانعام، الآية ٥١.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤٣٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٥٣.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٤٠.

خامساً- الاقتصار على ذكر قول أحد المفسرين دون تعقب، إشارة الى موافقته:

ان المطلع على كتب التفسير وما فيها، يلاحظ اعتماد بعض كتب التفسير اللاحقة على الكتب والتفاسير التي سبقتها، وهو أمر مألوف في تاريخ التفسير القرآني، إذ اعتاد مؤلفوه الاقتباس منها والاستشهاد بها.

فكان الإمام القرطبي يعتمد كثيراً على كلام النحاس[١]، وابن عطية[٢]، والماوردي وغيرهم، فقد يستشهد بأقوالهم التي تنص على الترجيح، عند عرضه للخلاف والأقوال في المسألة، مما يدل عل موافقته لقولهم، واختياره لما ذهبوا إليه، وقد يذكر قول أحدهم ثم يصرح بتصحيحه وتأييده.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾[٣]، واختلفوا في معنى ﴿بَدَا لَهُمْ﴾ والمراد به المنافقون، لأن اسم الكفر مشتمل عليهم، فعاد الضمير على بعض المذكورين؛ قال النحاس: ((وهذا من الكلام العذب الفصيح)).[٤]

وقيل: المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ، خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفطن بهم ضعفاء القوم، فيظهر يوم القيامة[٥].

---

(١) النحاس: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، ارتحل الى بغداد وأخذ العلم من الزجاج، وله تصانيف منها: اعراب القرآن، كتاب المعاني، الناسخ والمنسوخ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٠١.

(٢) ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بابن عطية الاندلسي توفي سنة ٥٤٦هـ، له له مؤلفات عدة من أشهرها كتاب "المحرر الوجيز في التفسير. ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط١٥، (بيروت: ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٢٨٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٢٨.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤١٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤١٠.

سادساً- وجوه الترجيح عند القرطبي في تفسير الآيات المتعلقة بالسيرة:

اعتمد القرطبي وسائل وأساليب عديدة، في ترجيحه لبعض الأقوال يمكن توضيحها من خلال النقاط الآتية:

١. الترجيح بالنظائر القرآنية:

وهو من أوجه الترجيح المعتمدة، عند العلماء التي قرروها، واستدلوا بها عند الاختلاف إذ قرروا إن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عداه[١].

وكثيراً ما يستدل القرطبي بدلالة النظائر القرآنية في الترجيح بين الأقوال، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾[٢]، أي لا تضعفوا في طلبهم، قيل: إنها نزلت في غزوة أُحد، عندما أمر النبي ﷺ المسلمين بالخروج في آثار المشركين، وكان فيهم من الجراحات، وأمر ألا يخرج معه الّا من كان معه في الواقع، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾، أي تتألمون مما أصابكم من الجراح، فهم يتألمون أيضاً مما يصيبهم، ونظير هذه الآية[٣] ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾[٤].

٢. الترجيح بظاهر القرآن

إن الأصل في جميع النصوص، أن تحمل على ظواهرها الاّ بدليل يجب التسليم له، والترجيح بالظاهر من وجوه الترجيح المعتبرة عند العلماء، وبهذا جاءت قواعد الترجيح والتفسير ومنها: أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الا لدليل، وكل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية فهو مردود[٥].

من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ

---

(١) الحربي، قواعد الترجيح، ج١، ص٣١٢.
(٢) سورة النساء، الآية ١٠٤.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٣٧٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.
(٥) الحربي، قواعد التفسير، ج١، ص١٣٧، ج٢، ص٣٤٩.

رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ﴾[١]، وهو يوم بدر وفيها أمد الله بملائكته نبيه، والمؤمنين، وعليه يدل ظاهر الآية، لا في يوم أُحد[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٣] يعني اليهود، قال محمد بن إسحاق: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر، وقدم المدينة جمع اليهود فقال: "يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم"، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك قتلت أقواماً أغماراً، لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة، والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء يعني اليهود: أي تهزمون فهذه رواية، أما الرواية الثانية أن اليهود لما فرحوا بما أصاب المسلمين يوم أُحد نزلت، فالمعنى على هذا ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بالياء، يعني قريشا وهذا ظاهر الآية[٤].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[٥]، قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ معناه ليحذر، فهو أمر، قال القرطبي وهو خبر وليس بأمر، ويدل على أنه خبر، أن ما بعده ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ لأنهم كفروا عناداً[٦].

٣. الترجيح بالحديث النبوي:

اعتنى القرطبي بهذا الوجه من الترجيح وقرره فكان يرجح بالسُنة، وقد أفرد في مقدمة تفسيره باباً، أسماه باب تبيين الكتاب بالسُنة وما جاء في ذلك[٧]، ولم يكتفي بذكر الحديث فقط، بل كان يضيفه الى من خرّجه "وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها... فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال، حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٥.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٩٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٤.
(٥) سورة التوبة، الآية ٦٤.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١٩٥.
(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٣٧.

الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام"[١].

قال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ **أَنْ** تَعْتَدُوا﴾[٢]، لما صد المسلمون عن البيت الحرام عام الحديبية (٦هـ/٦٢٧م)، مرَّ بهم ناسٌ من المشركين يريدون العمرة؛ فقال المسلمون: نصدهم كما صدنا أصحابهم، فنزلت هذه الآية؛ أي لا تعتدوا على هؤلاء، ولا تصدوهم، ولا يكسبنكم بغض قوم أن تتجاوزوا الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم، ونظيرها حديث رسول الله ﷺ: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"[٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ﴾[٤] لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك أظهر الله نفاق قوم، أخبر عنهم أنهم لو دعوا إلى غنيمة لاتبعوه، ونظير هذه الآية من السُنة في المعنى قوله عليه السلام: "لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سميناً، أو مِرماتيْن[٥] حسنتين لشهد العشاء"، ويقول: "لو علم أحدهم أنه يجد شيئاً، حاضراً معجلاً يأخذه، لأتى المسجد من أجله"[٦].

٤. الترجيح بالسياق:

المراد بسياق الكلام، دلالة سابق الكلام، ولاحقه على معناه، ويطلق على سابق الكلام سباق، وعلى لاحقه لحاق[٧]، ولا يخفى على أحد أن للسياق الذي وردت فيه الآية، أثرٌ بالغٌ على تفسيرها، وقد راعى القرطبي هذا الأمر، فاحتكم إلى السياق عند ترجيحه لأحد الروايات.

ومن الأمثلة على ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٣.
(٢) سورة المائدة، الآية ٨.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤٥.
(٤) سورة التوبة، الآية ٤٢.
(٥) مِرماتين: هو ما بين ضلعي الشاة أو ظلفي الشاة.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص١٥٣.
(٧) الحربي، قواعد الترجيح، ج١، ص١٢٥.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾[١]، وهذه من صفات المنافقين، والمعنى أنهم لم ينتفعوا بشيء مما سمعوه، بل دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، وقيل: المراد اليهود الذين قالوا: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار إذا دخلتم المدينة، واكفروا آخره إذا رجعتم إلى بيوتكم، يدل عليه ما يأتي بعده[٢]، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣]، يعني اليهود الذين يسابقون في المعاصي والظلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ج وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[٥]، اختلف الناس في هذا الفريق، قيل: انه عبد الرحمن بن عوف ومعه جماعة، وقيل: هم اليهود، وقيل: هم قوم أسلموا قبل فرض القتال فلما فرض كرهوه، وقيل: هو وصف للمنافقين؛ والمعنى يخشون القتل من المشركين، كما يخشون الموت من الله، وهنا أبدى القرطبي رأيه بالقول: قلت: وهذا أشبه بسياق الآية، لقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، ومعاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابيٍ، يعلم أن الآجال محدودة والأرزاق مقسومة[٦].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٢٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٢.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٣.

(٥) سورة النساء، الآية ٧٧.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٨١.

٥. الترجيح بأقوال السلف:

من المتفق عليه عند العلماء، أن أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأئمة الأمة المشهود لهم بالإمامة في العلم والدين، من القرون الثلاثة الأولى، مقدمة على قول غيرهم، وهي من وجوه الترجيح المعتمدة عند علماء الأمة، إذْ قرروا أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[١].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، اختلف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، فروي عن ابن عباس وغيره، لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل، وقال أبو العالية: قالت اليهود محمد مبعوث؛ ولكن إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حق، وجحدهم أنه بعث إليهم باطل، وقال ابن زيد: المراد بالحق: التوراة، والباطل: ما بدلوا فيها من ذكر محمد ﷺ، قال القرطبي: قلت: "وقول ابن عباس أصوب؛ لأنه عام فيدخل فيه جميع الأقوال"[٣].

٦. الترجيح بأسباب النزول:

إن من فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله، وتعددت أقوالهم فيها، فأولى الأقوال بتفسير الآية، هو ما وافق سبب النزول الصريح في السببية، وقرروا أن القول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على غيره [٤].

لقد اعتمد القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح، واستدل به على تصحيح بعض الأقوال في التفسير، منها قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾[٥]، وسبب النزول فيما

(١) الحربي، قواعد الترجيح، ج١، ٢٧١.
(٢) سورة البقرة، الآية ٤٢.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٣٤٢.
(٤) الحربي، قواعد الترجيح، ج١، ص٢٤١.
(٥) سورة يونس، الآية ٢.

روي عن ابن عباس، أن الكفار قالوا لما بعث محمد ﷺ: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب؛ فنزلت الآية، وقيل: إنما تعجبوا من ذكر البعث[١].

فرجح القول الأول الذي تضمنه سبب النزول، وهو أن الأمر الذي تعجب منه قريش هو أن يكون الرسول من البشر، ثم ذكر القول الآخر الذي تعجب منه أهل مكة وهو أمر البعث بصيغة التمريض.

وهذا ما ذهب اليه المفسرون ايضاً وقالوا "وإذا بَلَغوا فِي الجَهالَةِ إلى أَنْ تَعَجَّبوا مِن كونِ الْإِلَهِ تَعَالَى وَاحِدًا، لَمْ يَبْعُدْ أَيْضًا أَنْ يَتعجَّبوا مِنْ تَخْصيص اللَّهِ تَعالى محمداً ﷺ بالرسالة مع كونه فقيراً فهذا بيان أن كفار قريش تعجبو من ذلك فكان أهلَ مكّة يقولون إنَّ الله تعالى ما وجد رَسُولاً إلى خلْقهِ إلّا يتيمَ أبي طالِب"[٢].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨، ص٣٠٦.

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، ج١٧، ط٣، دار احياء التراث العربي، (بيروت: ١٤٢٠هـ)، ص١٨٥.

الخاتمة:

١-يعد القرطبي من الأئمة الأعلام في التفسير شهد له بذلك العلماء، وكتابه "الجامع لأحكام القرآن" التي سارت به الركبان وطارت شهرته في الآفاق دليل ساطع على تفوقه في هذا المجال.

٢-لقد أبدى القرطبي اهتماما واضحاً بالترجيح بين الآراء المختلفة الواردة في تفسير الآية الواحدة، والشواهد على ذلك كثيرة في تفسيره، الّا أن هذا البحث اقتصر على ترجيحاته في الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية.

٣-سلك القرطبي طرق وأساليب عدة في الترجيح بين آراء المفسرين في حال وجود اختلاف فيما بينهم، وبعض هذه الطرق كانت مألوفة بين المفسرين.

٤-تعددت وجوه الترجيح عند القرطبي، فقد اعتمد في ترجيحاته على النظائر القرآنية، وأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

أولاً- المصادر:

-ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ/٧٦٩م).

١-السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٤م).

-ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن أحمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٢-الوفا بأحوال المصطفى، ج٢، مؤسسة السعيدية، (الرياض: ١٩٧٦م).

-ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٢م).

٣-الإصابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٥م).

-الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)

٤-تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٤م).

-أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م).

٥-سنن أبي داود، مؤسسة الرسالة العالمية، (بيروت: ٢٠٠٩م).

-الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م).

٦-معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ط٢، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٩٨٨م).

٧-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٩م).

٨-سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠١م).

-الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

٩-مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، ط٣، دار احياء التراث، (بيروت: ١٤٢٠هـ).

-الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م).

١٠-البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، (عمان: ١٩٩٤م).

-زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

١١-مقايس اللغة، دار الجيل، ط٢، (بيروت: ١٩٩٩م).

-السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م).

١٢-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ج٢، (لبنان: ١٩٨٣م)

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

١٣-طبقات المفسرين، وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف، (الرياض: ٢٠١٠م)

١٤-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، (لبنان: ١٩٨٣م).

-الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن ايبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

١٥-الوافي بالوفيات، دار احياء التراث، (بيروت: ٢٠٠٠م).

-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م).

١٦-جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠٠م).

-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م).

١٧-التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب: ١٣٨٧هـ).

-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م).

١٨-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآية الفرقان، دار عالم الكتب، (الرياض:

٢٠٠٣م)

-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م).

١٩-الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، ط٢، (الرياض: ١٩٩٦م).

-مسلم، أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م).

٢٠-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار التأصيل، (القاهرة: د.ت).

-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين(ت٧١١هـ/١٣١١هـ).

٢١-لسان العرب، دار صادر، (بيروت: د. ت).

-ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م).

٢٢-السيرة النبوية، دار الجيل، (بيروت، ١٤١١هـ).

-ابن الوزير، ابي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م).

٢٣-إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العمية، ط٢، (بيروت، ١٩٨٧م).

-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٢٤-معجم البلدان، دار صادر، (بيروت:١٩٧٧م).

ثانياً- المراجع

-الحربي، حسين بن علي بن حسين.

٢٥- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، (الرياض: ١٩٩٦).

-الزركلي، خير الدين

٢٦-الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط١٥، (بيروت: ٢٠٠٢م).

-المناوي، عبد الرءوف.

٢٧-التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، (القاهرة: ١٩٩٠م).

ثالثا- رسائل الماجستير

-السلومي، أسماء بنت محمد عبد الله.

٢٨-ترجيحات القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام الى آخرها جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، (السعودية: ٢٠٠٨م)، ص٩٠.

-الغامدي، مي بن محمد بن حامد آل عثمان.

٢٩-ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الحجر الى اخر اية (٨٠) من سورة النحل جمعاً ودراسة وموازنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، (السعودية: ٢٠١٢م).